﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ١١٦﴾ [الأنعام: 116]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

كلُّ كلمةٍ سوى كلمةِ الله هي كذبٌ وظلمٌ

لَمَّا بيَّن سبحانَه في الآيةِ السَّابقةِ تمامَ كلمةِ الله صدقًا وعدلًا، عطفَ عليها بيانَ حالِ كلمةِ النَّاس؛ توكيدًا لاختصاصِ كلمةِ اللهِ بالصّدق والعدلِ، وتحذيرًا من كلمة أكثرِ النَّاس الّذين يُضلّون عنِ الحقِّ وسبيلِه، فقد تمَّت كلماتُه تعالى بصدقٍ وعدلٍ، فأرسى قوانينَ الهدايةِ، ومعالمَ الغَوايةِ، مُذكِّرًا بأنّ أكثرَ النّاس يُضلّون عن سبيل الله؛ باتّباعِ الهوى، وبتقديرهم الكاذبِ فيما يخرصون، فهم "يَجزمُون بالأمور بحسب ما يُقَدِّرُون، فيُكشَفُ الأمرُ عن أنّها كذبٌ، فيُعرَفُ الفرقُ بينَك وبينَهُم في تمام الكلامِ ونفُوذِه نفُوذَ السّهامِ، أو تخلُّفِه عنِ التّمام، ونُكُوصِه كالسّيف الكَهَامِ، فلا يَبقى شُبهةٌ في أمر المُحِقّ والمُبْطِل"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تُطِعۡ﴾: جذرُ الكلمةِ هو (طَوَع)، الطَّوعُ: نقيضُ الكَره، ومنه قولُه تعالى: ﴿قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ﴾ [التّوبة: 53]، تقولُ: لَتَفعَلَنَّهُ طوعًا أو كَرهًا؛ أي: طائعًا أو كارِهًا، وطاعَ لهُ إذا انقادَ له، ويُقال: إذا مضَى في أمرك فقد أطاعَك، وإذا وافقَك فقد طاوعَك، وقولُهُم طاع يَطُوع طوعًا، مثل: أطَاع يُطيع إطاعةً سَوَاءٌ، إلَّا أنّهُم يَقُولُونَ طاعَ لَهُ وأطاعه، ولا يَقُولُونَ طاعَه، كما يَقولونَ أطاعَهُ، وأنشدَ:

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 7/239 - 240.

وَقُلتُ لِلقَلبِ دَعِ اتِّبَاعَهَا *** فَطاعَ لِي وطالَ ما أَطاعَها

وفُلَانٌ طَوعُ يدِك؛ أي: منقادٌ لَك، والطَّوعُ: يُقال: طاعَ له كذا؛ أي: أتاه طَوعًا، ولساني لا يطُوعُ بكذا؛ أي: لا ينقادُ. ومعنى قولِه تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ﴾؛ أي: إنَّ اتّباعَ أكثرِ أهلِ الأرضِ يُضلُّ عن سبيل اللّه؛ لأنّ أكثرَهم قد أضلَّتهم غَواياتُ الشّياطين[1].

2) ﴿يَخۡرُصُونَ﴾: جذرُ الكلمةِ هو (خرص)؛ وهو أصولٌ متباينةٌ جدًّا، فالأوّلُ منها الخَرْصُ، وهو حَزْرُ الشّيءِ، يُقال خَرَصتُ النّخلَ، إذا حَزَرْتَ ثمرَه. والخرّاصُ: الكذّابُ، وهو من مادّة الكذبِ؛ لأنّه يقولُ ما لا يعلمُ ولا يحقُّ. واخترصَ فلَانٌ كلَامًا إذا اختلقهُ، وكذلكَ خرصهُ وتخرّصهُ، قال الزّجّاج: يُقال: تخرّصَ فلانٌ عليَّ الباطلَ واخترصه؛ أي: اختلقَه وافتعله، ومنه الخرّاصُون في قولِه ﷻ: ﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ١٠﴾ [الذّاريات: 10]؛ أيّ الكذّابون. ومعنى يَخۡرُصُون: يكذبون، ويجوزُ أن يكونَ الخرّاصُون الّذين يتظنُّون الشّيءَ لا يُحقّونهُ، فيَعمَلُون بما لا يعلَمُون. وحقيقةُ ذلك: أنَّ كلَّ قولٍ مقولٍ عن ظنٍّ وتخمينٍ، يُقال له: خَرْصٌ، سواءً كان مطابقًا للشّيء أو مخالفًا له، من حيث إنَّ صاحبَه لم يقلّه عن علمٍ ولا غلبةِ ظنٍّ ولا سماعٍ، بل اعتمدَ فيه على الظّنِّ والتّخمينِ، كفعلِ الخارصِ في خَرْصه، وكلُّ مَن قالَ قولًا على هذا النَّحو قد يسمَّى كاذبًا، وإن كان قولُه مُطابقًا للمقُولِ المخبَرِ عنه[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

التّحذيرُ من طاعةِ المشركين باللّه المنحرفين عن الحقِّ

يبيِّنُ اللّهُ لنبيّه محمّد ﷺ، محذّرًا له عن طاعة أكثرِ النّاسِ، فيقولُ تعالى مخاطبًا له: لا تُطع هؤلاء العادِلين باللّه الأندادَ،

(1) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللّغة: (طوع).
(2) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللّغة، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب المفردات: (خرص).

فيمَا دَعَوْك إليه من أكلِ ما ذبحُوا لآلهتهم، وأهلُّوا به لغير ربّهم، وأمثالَهم من أهل الزّيغ والضّلالِ، فإنّك إنْ تُطعْ أكثرَ من في الأرض يُضلّوك عن دين اللّه[1]، وما اختارَ للمُؤمنين ممّا لا تُدرَكُ حكمَتُه، ويكفيكُم أنّه طاعةٌ للّه، واستجابةٌ لشرعه، فهؤُلاء يتّبعون أهواءَهُم وظنونَهُم، وهُو ظنُّهُم أنّ آباءَهُم كانُوا على الحقّ، فهُم يقلّدُونهُم، وهُم يحسبُون أنّهُم على شيءٍ[2]، وخطابُ الرّسولِ ﷺ خطابٌ لأمّته؛ فإنَّ أمَّتَه أسوةٌ له في سائرِ الأحكامِ، الّتي ليسَت من خصائصِه[3].

وذُكرَ أنَّ سببَ نزولِ الآيةِ أنّ المشركين جادلُوا رسولَ اللّه ﷺ، في أمر الذّبائحِ، وقالوا: تأكلُ ما تقتلُ، وتتركُ ما قتلَ اللّه؟ يقصدُون بذلك الميتةَ، فنزلَتِ الآيةُ، ووصفَهم ﷻ، بأنّهم يُحكِّمُون ظُنُونَهم، ويتّبعُون تخرُّصَهُم[4].

ومنَ المُفسّرين مَن خصَّ هذه الطّاعةَ، واتّباعَهُمُ الظّنَّ، وتخرُّصَهم بأمر الذّبائحِ[5].

وتُرشدُ الآيةُ الكريمةُ إلى أنَّ اتّباعَ أكثرِ النّاس يؤدِّي إلى الضّلال؛ فلذا لا يُتَّبعُ إلّا أهلُ العلمِ الرّاسخون فيه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾ [يونس: 89].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى الواو في قولِه تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾:

طاعةُ كلماتِ اللهِ نجاةٌ، وطاعةُ كلامِ أكثرِ النَّاسِ ضلالٌ

الواوُ عاطفةٌ وصلَت ما بعدَها بما قبلَها؛ فجملةُ: ﴿وَإِن تُطِعۡ﴾ متّصلةٌ بجملةِ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾، وبجملةِ: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا﴾ وما بعدها إلى قولِه:

(1) ابن جرير جامع البيان: 12/64.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/57.
(3) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 142.
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/337.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/213.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[1]، فأفادَت بهذا الوصلِ بيانَ أنَّ أكثرَ مَن في الأرض ضالّون عن سواء السَّبيل، وهم مُضلّون لغيرهم بما يوحي بعضُهم إلى بعض من زخارف القولِ، ظَانّين أنّه الحقُّ، وهو ليس بحقٍّ في شيء، فبين الجملتين التَّوسطُ بين الكمالَيْن، إذ أفادتِ الآيةُ السَّابقةُ أنَّ كلماتِ اللّه صدقٌ وعدلٌ، وأفادَت هذه الآيةُ أنَّ كلامَ أكثرِ النَّاسِ كذبٌ وظلمٌ، ففُهِمَ من ذلك أنَّ طاعةَ الصّدقِ والعدلِ نجاةٌ، وطاعةَ الكذبِ والظّلمِ ضلالٌ.

نُكتةُ استعمالِ (إنْ) دُونَ (إذَا):

رسولُ الله ﷺ القدوةُ في طاعةِ الله ونبذِ طاعةِ أكثرِ النّاسِ

في قولِه تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: (إنْ) تتضمّنُ معنى الشَّرط كـ (إذا)، ويفترقان في أنَّ (إذا) تُستعمَلُ في الأمورِ ممكنةِ التّحقُّقِ، على خلافِ (إنْ) الّتي تُستعمَلُ في المُحتَمَلِ المَشكُوكِ فِيه، والمَوهُومَةِ والنَّادرةِ، والمُستَحِيلَةِ[2]، وسائرِ الافتراضَاتِ الأخرى، فهي لتعليقِ أمرٍ بغيرِه عمومًا.

فمِنَ المَعَاني المستحيلةِ أن يعصي النّبيُّ ربَّه فقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥﴾ [الأنعام: 15]، فاستعملَ أداةَ الشَّرطِ (إنْ) في قولِه: ﴿إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي﴾؛ فجعل ذلك منَ الأمور مُستَحِيلَةِ الوُقُوع؛ إذ لا يمكن أن يعصي الأنبياءُ ربَّهُم سبحانَه، وكذلك هنا قال: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ فيستحيلُ أن يطيعَ الرّسولُ أهلَ الأرض؛ لأنّ اللّهَ تعالى قد اختاره ليُطاعَ من قِبلِ النّاسِ، فهو صاحبُ الرّسالةِ، فجاءَت (إنْ) لبيان هذا الشّرط، ولو قال (إذا) لاختلّ المعنى، ولأفاد إمكانَ أن يطيعَ النّبيُّ النّاسَ، تاركًا أوامرَ اللّه ورسالتَه.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/22.
(2) الزّركشّي، البرهان: 2/360.

تعيينُ المقصودِ بالخِطابِ في قولِه تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾:

خـطـابُ الـنّـبـيِّ خطابٌ لأمّته في سائر الأحكام، الّتي ليسَت من خصائصِه

الخطابُ في هذه الآية للنّبيِّ ﷺ فهو منَ العامِّ المخصوصِ، والمقصودُ به خطابُ أمّتِه، والآيةُ موجزَةٌ لقضيةٍ كُبرى، يُمارسُها عمُومُ البشرِ في كُلّ يومٍ، إنّهم يُحكّمُون أفكارَهُمُ المُضطربَةَ، والنّاشئةَ عمّا تهواهُ الأنفسُ، وعمّا يُهيمِنُ على العقل والقلبِ، في جميع قضايا حياتِهم، فيختارُون ما يظُنّون أنّ فيه الرّاحةَ النّفسيّةَ، ويُؤثرُون ما يُحقّقُ لهُمُ الاستقرارَ والرّفاهيّةَ والمُتعةَ، ويضمنُ لهم رغدَ الحياة، بحسب ما تتطلّعُ إليه النّفسُ، انطلاقًا من حيِّزها المحدودِ، وتماشيًا مع ما يروقُ لها من مُتعةٍ وبذخٍ، فتأتي حساباتُ كُلِّ المسائلِ الحياتيّةِ، مَنُوطةً بهذا الحيِّزِ المَرسُومِ.

معنى الطّاعةِ المجازيِّ في قولِه تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾:

إعـجـازُ الـنّـظـمِ في انـسـجـامِ لفظتَيْ (تُطع) و(لـتـصـغـى) كـمـنـظـومـتَـيْن معنويّتَيْن

الطّاعةُ مُستعمَلةٌ في قولِه تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ في هذا المعنى المجازيِّ، وهو قبولُ القول[1]، ومجانفةُ الكُرْه، والطّائعُ يعرُوه الميلُ إلى جهةٍ مقصُودةٍ، يكونُ راضيًا عنها، وفيها معنَى المُوالاةِ، وتنفيذِ مُراد المُطاعِ من قولٍ أو عملٍ، وهذه منظومةٌ معنويّةٌ لمفهوم قولِه: ﴿تُطِعۡ﴾ الّتي يُمكن اختصارُها في العناصر التّالية: (المَيلُ - الرِّضَا - التّنفيذُ)، وهي مُنسجمةٌ تمامًا مع المنظُومةِ المعنويّةِ لكلمة ﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ﴾ الواردةِ في الآيات السّابقةِ، وفي ذلك ما فيه من دقيقِ النّسجِ وبديع النّظمِ، وروعةِ التّوافقِ والانسجامِ بين المعاني الواردةِ في القطعةِ القرآنيّةِ كلِّها لفظًا ودلالةً.

دلالةُ ذِكرِ الأكثريّةِ في قولِه تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾:

الاحترازُ عن أهل الحقِّ والإيمان ممَّن طاعتُهم واجبةٌ

لم يقُل: (وإنْ تطعْ مَن في الأرض) فلا يصحُّ ذلك؛ لأنّ بعضًا من أهل الأرضِ - ومنهم الأنبياءُ وأتباعُهم منَ المؤمنين وصحابتُهم -

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/24.

يدعون إلى الله ولا يُضِلّون عن سبيله، فاتّباعُهم يُؤدّي إلى الهُدى، فقال: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ يعني أهلَ أرضِ مكّةَ فيما يدعونَه إلى ملّة آبائِه، أو الكفّارِ عمومًا؛ لأنّ أكثرَ مَن في الأرض كانوا كفّارًا[1]، وفي الآية إيماءٌ إلى ما يكتنفُ النّفسَ الإنسانيّةَ عمومًا منَ الميل إلى الأهواء، والصّدِّ عن سبيل الله، فمَن أطاعَهم فإنّما تؤدّي طاعتُه إلى الضّلال عن سبيل الله.

اقترنَ ذكرُ لفظةِ الأكثرِ في كتاب اللـه بـذمِّ مَـن أُضيفَتْ إليه

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ﴾ ذمُّ (الأكْثَرِ)، وهو التّعبيرُ الغالبُ في الاستعمالِ القرآنيِّ، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٦٣﴾ [البقرة: 243]، وقولُه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٧﴾ [الأعراف: 187]، وقولُه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٧﴾ [هود: 17]، وقولُه: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٨٩﴾ [الإسراء: 89]، وهكذا دواليكَ، والأغلبُ أنّه لا يُقال: (الأكثر) إلّا في حقِّ الّذين يتّبعُون أهواءَهم، وهذه خصلةٌ غالبةٌ في النّاس؛ مِن هُنا فقد جاءَتِ الرّسالاتُ السّماويّةُ لتُقَوِّمَ نفُوسَ النّاسِ وعقُولَهم، وتُزيحَ عنها هذه الخصالَ، وتُسدِّدَها بالعلم والحقِّ.

بلاغةُ الكنايةِ عنِ الإنس في قولِه تعالى: ﴿أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾:

إذا غـابَـت قيمُ الـوحـي عـنِ العـقـولِ ضلَّتِ القلوبُ وأضلَّت

قولُه تعالى: ﴿أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ كنايةٌ عنِ الإنس، فهم يتَّبعُون الظّنَّ، وهم يخرصُون ويتحزَّرُون، وهذا من قَبيل تحكيم الرّأي بلا علم، أوِ اتّباع الهوى الّذي لا يركنُ إلى الحقِّ، وهذا يعكسُ أيضًا خبايا النّفسِ الإنسانيّةِ.

وسببُ هذه الأكثريّة: أنّ الحقَّ والهُدى يحتاجُ إلى عقولٍ سليمةٍ، ونفوسٍ فاضلةٍ، وتأمُّلٍ في الصّالحِ والضّارِّ، وتقديمِ الحقِّ على الهوى، والرُّشدِ على الشّهوة، ومحبّةِ الخيرِ للنّاس على الأنانيّةِ؛

(1) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 1/496.

وهذه صفاتٌ إذا اختلَّ واحدٌ منها تطرَّقَ الضّلالُ إلى النّفسِ بمقدار ما انثلَمَ من هذه الصِّفاتِ[1].

معنى ﴿مَن﴾ ودلالةُ استعمَالِها:

أكـثرُ النّـاسِ يُلوِّحون بالعقلِ والعلمِ في حين أنّـهـم ضـالّـون مضلّون

تختصُّ (مَنْ) بالعقلاءِ، وهي هنا موصولةٌ، وجاءَت ﴿مَن﴾ في قولِه تعالى: ﴿أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ لبيان أنَّ مَن تستمعُ إليهم يبدو عليهم العلمُ والمعرفةُ والحقُّ، لكنّهم في حقيقة أمرِهم يَهدون إلى الباطل، ويُضلّونك عن سواءِ الصّراط؛ وفي النّصّ الشّريفِ موضعُ الآية فإنّ أكثرَ مَن في الأرض ممّن يُعدُّون منَ العُقلاء أو أُولي العلم قد اختلطَت عليهم السُّبُلُ فقد ضلّوا وأضلّوا، فاستعملَ النَّظمَ ﴿مَن﴾ لبيانِ ظاهرِهم، وقد حكمَ على باطنهم في قولِه تعالى: ﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ٤٤﴾ [الفرقان: 44].

دلالةُ حرفِ الظَّرفيَّةِ في قولِه تعالى: ﴿أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾:

زخـرفُ الأرضِ ومحبّةُ شهواتِها رأسُ الـضَّـلالِ والانحرافِ

دلالةُ حرف ﴿فِي﴾ على الظّرفيّةِ المكانيّةِ؛ لدلالة هذا المكانِ على حياة العقلاءِ من بني آدم، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ [البقرة: 30]، فدلَّ الظَّرفُ على الّذين يسكنون الأرضَ، وعمّ الإنسَ، فبعد أن ذكرَ شياطينَ الإنس والجنّ؛ خصَّ هُنا ذكرَ الّذين يعيشون في الأرض وهمُ الإنس؛ لأنّهُم هم ميدانُ التّداخلِ الاجتماعيِّ والتّأثيرِ في النّاس، ودلَّ حرفُ الظَّرفيّةِ على شمولِ جميعِ مَن يسكنُ الأرضَ، إن أُريد مفهومُها العامّ، وبيان استقرارِهم فيها وتشبّثِهم بها، فالأرضُ وما فيها من زخرف الحياةِ هو سببُ ضلالِهم.

معنى التَّعريفِ في قولِه تعالى: ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾:

المـرادُ بـالأرضِ عـمـومُـهـا، وتـدخـلُ مَـكّـةُ دخولًا أوّليًّا

إن قُصدَ بالأرضِ مكّةُ فالتّعريف للعهدِ العُرفيِّ، والمقصودُ من قولِه تعالى: ﴿أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، رُؤساءُ مكّةَ الّذين يُريدون طمسَ الدّعوة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/25.

خاصّةً في مهدها الأوَّل[1]، وإن قُصِد عمومُ الأرضِ فالتَّعريفُ للعهد، ودلالةُ العمومِ هي الأَوْلى، وتدخلُ مَكَّةُ دخولًا أوّليًا في المعنى المراد.

دلالةُ استعمالِ ﴿يُضِلُّوكَ﴾:

مَن سلكَ سبيلَ اللهِ فهو على الهُدى، وما سوى ذلك ضَلالٌ مُبينٌ

الطّاعةُ والتزامُ الأوامر والاقتداءُ بالآخرين يقتضي في علاقة مباشرةٍ الهدَى أو الضّلالَ، وقد بيّنتِ الآيةُ الكريمةُ في تحذيرٍ ضِمنيٍّ خطورةَ طاعةِ أكثرَ مَن في الأرض؛ لأنّ طاعتَهم والتزامَ أوامرهم يؤدّي إلى الضّلال حتمًا؛ إذ لا سبيلَ للهداية إلّا سبيلٌ واحدٌ وهو سبيلُ اللّه تعالى؛ فمَن سلكَ سبيلَ اللّه فهو على الهُدى، ومَن سلكَ كلَّ سبيلٍ آخرَ فهو سائرٌ في الضّلال.

بلاغةُ التّعبيرِ بالفعل ﴿يُضِلُّوكَ﴾، دون (يفتنوك) أو غيرِه:

الفتنةُ تعني اختبارَ الإيمان، والضّلالُ هو انحرافٌ عن الحقِّ والصّراطِ المستقيمِ

سببُ استخدامِ الفعلِ ﴿يُضِلُّوكَ﴾ بدلًا من (يفتنوك) أو نحوِه منَ الألفاظ المقاربة في المعنى في قولِه تعالى: ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾، هو أنَّ الفعلَ ﴿يُضِلُّوكَ﴾ أقوى في الدَّلالة على المعنى منَ الفعل (يفتنوك) أو غيرِه منَ المرادفات، فالفتنةُ تعني اختبارَ الإيمانِ بالشُّبهات والشَّهوات، وقد يصبرُ المؤمنُ على الفتنة، ويثبتُ على دينه، وقد يُزَلزَلُ إيمانُه ويستكينُ للفتنة، أمَّا الضّلالُ فهو انحرافٌ عنِ الحقِّ والصّراطِ المستقيم، وهو أخطرُ على المؤمن منَ الفتنة؛ فإذا ضلَّ المؤمنُ عن سبيل اللّه فقد خسرَ دنياه وآخرتَه، كما أنَّ الفعلَ ﴿يُضِلُّوكَ﴾ مُطابقٌ لسياق الآيةِ الكريمة، فالآيةُ تتحدَّثُ عن حالِ أكثرِ أهلِ الأرضِ من بني آدم، وهم كفّارٌ ضُلَّالٌ، يتّبعون أهواءَهم وظنونَهم، ولا يقبلون بالحُجج والبراهين الّتي جاء بها رسولُ اللّه ﷺ، فإذا أطاعَهم المؤمنُ في شيءٍ من أمور دينِه، فإنّهم يسعَون جاهدين إلى إخراجه من نورِ التّوحيدِ إلى ظلماتِ الشّركِ[2].

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 9/40.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 9/509، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/322.

غرضُ ذكْرِ قيدِ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ لفعلِ ﴿يُضِلُّوكَ﴾:

كلُّ ضالٍّ يُقدِّمُ سبيلَه على سبيلِ اللهِ ليُضلَّ عبادَ الله

لم يقُل: (عنِ الحقّ، أو القرآنِ، أو الهدى)، وعلاقةُ ذلك ببيان معنى أنَّ الإسلامَ سبيلٌ يُسلكُ لا كلامٌ يُقالُ، وسبيلُ اللّه واحدٌ وهو الصّراطُ المستقيمُ؛ وذكرَه هنا لبيان تشعّبِ السُّبُلِ الّتي يسلكُها أكثرُ النّاس، كما قرَّر ذلك في آخر هذه السّورة بقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: 153]، فقد يكونُ لكلِّ جمعٍ منَ النّاس سبيلٌ خاصٌّ بهم ومنهجٌ في الفهم، وقد يكونُ لكلِّ إنسانٍ سبيلٌ يقترحُه لنفسه ويراه هو الأنسبُ والأجدرُ بالسّلوك، ففي قولِه تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ دليلٌ على أنّ الإنسانَ بطبيعته تكوينٌ نفسيٌّ وعقليٌّ، يتّجهُ في تشعّباتٍ واختياراتٍ مُختلفةٍ، أغلبُها طرائقُ ضلالٍ، ابتكرتها منظومةُ (العقل والنّفس) بمقاييسَ ظَنِّيَّةٍ، لا تنطلقُ من منطلقٍ علميٍّ دقيقٍ، وطريقُ الحقّ واحدٌ؛ وهو طريقُ العلم والصّدقِ والإيمانِ، وهذا القولُ يصدقُ في أمُور الحياةِ كُلِّها، بَيدَ أنّهُ في أمُور الدّينِ، تكونُ البليّةُ مُضاعفةً؛ لِمَا لهُ من علاقةٍ بمسائل الاعتقادِ والعباداتِ والمعاملاتِ والأخلاقِ والآداب، ومعنى خطابِ النّبيِّ ﷺ والأمّةِ في الآية الكريمة: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾؛ أي: ليسُوا راجعين في عقائدهم إلى علمٍ صائبٍ، ولا في أحكامهم إلى شريعةٍ صحيحةٍ.

بلاغةُ التَّمثيلِ في قولِه تعالى: ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾:

تمثيلُ حالِ الدّاعي إلى الكفر بمَن يدعو إلى خلافِه بقصْدِ التَّمويه

ذهب صاحبُ (إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن) إلى أنَّ قولَه تعالى: ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾، هو "تمثيلٌ لحال الدّاعي إلى الكفرِ والضّلالِ والفسادِ، ومَن يقبلُ حالَه، بحالِ مَن يُضلُّ مُستهدِيَه إلى الطّريق، فينعتُ له طريقًا غيرَ الطّريقِ المُوصلةِ، وهُو تمثيلٌ قابلٌ لتوزيع التّشبيه، بأن يُشبّهَ كلُّ جُزءٍ من أجزاء الهيئةِ المُشبّهةِ، بجُزءٍ

من أجزاء الهيئةِ المُشبّهِ بها، وإضافةُ السّبيلِ إلى اسم الله قرينةٌ على الاستعارة"[1].

غرضُ الإضافةِ في قولِه تعالى: ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾:

كـلُّ مـن سلَكَ غيرَ سبيل الله فهـو في ضـلالٍ مبينٍ

الإضافةُ هنا أفادَتِ التّعريفَ بأنّ هذا السّبيلَ المشارَ إليه في الآية؛ إنّما هو سبيلٌ وحيدٌ، وهو سبيلٌ منسوبٌ إلى الله تعالى، خالقِ البشر، العالمِ بما ينفعُهم، وأفادَتْ تشريفَ السَّبيل ورفعَ مكانته في نفوسِ المخاطَبين، وإكسابَه جلالًا ومهابةً، وإعطاءَه المشروعيّة في السُّلوكِ، فإنَّ كلَّ سبيلٍ سوى هذا السَّبيل سلوكُه باطلٌ؛ لأنَّه سيُضاف إلى غير الله تعالى، والأغيار طريقُهم باطلٌ.

وهو ما حثَّ اللّهُ عليه في آخر الوصايا العشر من ختام سورة الأنعام، وهو التّوجُّهُ نحو الطّريقِ المستقيمِ الّذي وصّانا اللّهُ به؛ لنتقيَ عذابَه بفعل أوامرِه، واجتنابِ نواهيه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: 153].

بلاغةُ الاستئنافِ البيانيّ:

عـلّـةُ الـضّـلال اتّـبـاعُ الـظّـنّ والأوهامِ

جملةُ ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ، ناشئٌ من قولِه: ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾[2]، والضّلالُ ناتجٌ منَ اتّباعِ الشُّبهةِ من غير تبصُّرٍ بالعواقب، فكأنَّ سائلًا قد سأل: لماذا يُضلُّ هؤلاء عن سبيل اللّه؟ فكان الجوابُ: لأنَّهم يتّبعون الظَّنَّ، فضُمِّنَ الاستئنافُ البيانيُّ معنى التَّعليل.

معنى ﴿إِن﴾ في قولِه تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾:

أكـثرُ الـنّـاس لا يـتّـبـعـون إلا الظّنَّ، والظّنُّ لا يُغني منَ الحقّ شيئًا

حرفُ ﴿إِن﴾ في قولِه تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ نفيٌ بمعنى (ما يتّبعون)؛ كقوله: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 23]؛ أي: ما أنت إلّا

(1) أبو مريزيق، إرشاد الحيران: 4/178.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/27.

نذيرٌ؛ وهو قصرٌ بأسلوب النَّفي والاستثناء؛ أي: ما يتّبعون يقينًا، وإنّما يتّبعون ظنَّهُم الباطلَ، أو ظنَّهم أنَّهم شركاءُ بتقدير معمولِ الظّنِّ، أو تنزيلِهِ منزلةَ اللّازم[1].

غرضُ القصْرِ في قولِه تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾:

ذمُّ عقولِ متَّبعي الظَّنِّ وتقبيحُ تصوّراتِهم

الاستثناءُ المفرّغُ بأسلوب النّفي والاستثناءِ يفيدُ القصرَ، وفي الحقيقة أنَّ (إلّا) تفيدُ الاختصاصَ سواءٌ كان في التّفريغ أم في غيره، غيرَ أنّ القصرَ في التّفريغ أعمُّ وأشملُ، كما في قولِه تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ فقد نفى عنهم أيَّ اتّباعٍ إلّا ما هو من قبيل الظّنِّ، فأدّى بهم هذا الظّنُّ إلى الخَرصِ، فقال: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾، وغرضُ القصر بهذا الأسلوبِ نفيُ كلِّ اتِّباعٍ مُتصوَّرٍ، وإثباتُ اتِّباعٍ واحدٍ وهو الظَّنُّ، وهذا في غايةِ الذَّمِّ والتَّقبيحِ لعقولِهم.

بلاغةُ اختيارِ مُفردةِ الاتِّباعِ في قولِه تعالى: ﴿يَتَّبِعُونَ﴾:

الاتّباعُ يُعيِّنُ أنَّ المقصودَ بالظَّنِّ ما ظنَّه الأسلافُ

وجملةُ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ، نشأَ عن قولِه: ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فبيَّنَ سببَ ضلالِهم: أنّهم اتّبعوا الشُّبهةَ، من غير تأمُّلٍ في مفاسدِها، فالمرادُ بالظَّنِّ ظنُّ أسلافِهم، كما أشعرَ به ظاهرُ قولِه: ﴿يَتَّبِعُونَ﴾[2].

معنى التَّعريفِ في قولِه تعالى: ﴿ٱلظَّنَّ﴾:

تقاليدُ الآباءِ الباطلةُ وأوهامُ العقلِ القاحلةُ هي معالمُ الظَّنِّ

جاءَ الظّنُّ في قوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ مُعرَّفًا لبيانِ أنَّ الظَّنَّ الّذي يتّبعونه هو ظنٌّ معروفٌ، ذو معالمَ وصفاتٍ لا تخفى على المؤمنين، وهي صفاتٌ مجتمعةٌ في الاتِّكاء على تقاليد الآباءِ وتُراث الأجدادِ ممّن تقطّعَت بهمُ السُّبُلُ عن سبيل الله، فالظَّنُّ باطلٌ في أصلِه وانطلاقتِه وفي أبعادِه، فحريٌّ بمن عرَفَه أن ينأى بنفسِه عن طريقِه.

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 6/145.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/27.

بلاغةُ الاستعارةِ في قولِه تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾:

صُـوِّرَ الـظـنُّ لهؤلاء كالمُرشِدِ المتّبَعِ

في قولِه تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ تشبيهٌ للظنِّ برجلٍ يُتَّبَعُ، فصوَّرَهم وهم يتّبعون (الظّنّ)؛ وكأنّهم يتّبعون مُرشدًا لهم لا يخالفون أوامرَه ونواهيَه ونهجَه وخُطاه؛ فجعل الظّنَّ كرجلٍ مُتَّبَعٍ، فحذفَ المشبَّهَ به وأثبتَ المُشبَّه؛ فهي استعارةٌ مكنيّةٌ تخييليّةٌ.

فائدةُ حرفِ الواو في قولِه تعالى: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾:

اعتقادُ الضَّالّين بين أوهامِ السَّابقين، وابتداعِ المعاصرين

جملةُ: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ عطفٌ على جملةِ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾، ووجودُ حرفِ العطفِ يمنعُ أن تكونَ هذه الجملةُ تأكيدًا للجملة الّتي قبلَها، أو تفسيرًا لها، فتعيّنَ أنّ المرادَ بهذه الجملة غيرُ المراد بجملةِ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾[1].

وقد أفادَ عطفُ جملةِ ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ على جملةِ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ بيانَ أنَّ لهؤلاء المشركين حالتَين؛ الأُولى: يتّبعون فيها آباءهم، والأخرى: يخرصون من تلقاءِ أنفسِهم، ففيه أنَّ اعتقادَهم يدورُ بين هاتين الحالتين؛ أوهامِ السَّابقين، وابتداعِ المعاصرين، فالنَّتيجةُ ضلالٌ حتميٌّ مبينٌ.

غرضُ القصْرِ في قولِه تعالى: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾:

اعـتـقـاداتُ الضَّالين ما بين خَرْصٍ وتخمينٍ

القصرُ في النّفي والاستثناء يكونُ في الأمور الّتي يجهلُها المُخاطَب، أو ينكرُها، أو يشكُّ فيها، وهذا الاستثناءُ كسابقه؛ استثناءٌ مفرّغٌ يُفيدُ الشُّمولَ، فقولُه تعالى: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾؛ نفى عنهم أيَّ حالٍ إلّا حالَ الخَرْصِ والتّحزّرِ، فلا يرتكزون على حقيقةٍ، وتبقى آراؤُهم وأقوالُهم كلُّها من قبيل ما تملي عليهم أهواؤهم وما يتمنَّون.

سرُّ التّعبيرِ بمُفردةِ الخرصِ وبالفعل المُضارِعِ:

في قولِه تعالى: ﴿يَخْرُصُونَ﴾: الخَرْص: ظنٌّ ناشئٌ عن وجدانٍ في

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/27.

النّفس، مُستند إلى تقريبٍ، ولا يستندُ إلى دليلٍ يشتركُ العقلاءُ فيه، وهو يُرادفُ الحزْرَ، والتّخمينَ[1]، وهُو معنى مهمٌّ ومُرادٌ؛ لأنّه يعتمدُ على قُدرة الخارصِ في تقييم الحالةِ، بحسب ما أُوتي من خبرةٍ، يعتمدُ فيها على أغلبِ الظّنّ، فتبقى المُشكلةُ قائمةً في كون النّتيجةِ مُجانبةً للصّواب، قال تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝٢٠﴾ [الزّخرف: 20]، وعبَّر بلفظ ﴿يَخْرُصُونَ﴾ عن مزاعمهم الباطلةِ، وظُنونهم الفاسدةِ، في غاية الرّشاقةِ؛ لأنّها ظُنونٌ ما أنزل اللّهُ بها من سُلطان، ولا دليلَ عليها من عقلٍ ولا نقلٍ ولا برهانٍ، ولكنّ ظانّيها استحسنُونها، فتوهّمُوا ما يعتقدُونَهُ فيها، وهُو بَاطِلٌ وزَيفٌ[2].

خـارصُ الأوهـامِ يضعُـها اليـوم ويرجعُ عنها غدًا فهو دائمُ التّعبِ والنّصبِ

وعبَّر بصيغة الفعل المضارعِ لبيانِ ديمومتِهم في الخرصِ والتّخمين، فما أن ينتهوا من خرصٍ إلّا وينتقلون إلى خرصٍ آخر، مع هدم الأوّل، وهذا واضحٌ أشدَّ الوضوحِ في القوانين الوضعيّةِ الّتي تُضاهِي الشّريعةَ، فإنّ أصحابَها يضعون القانونَ اليوم، ويهدمونَه غدًا، وهكذا يبقون في دوّامة الباطلِ لا يصلون إلى نتيجة واضحةٍ، فهم في تعبٍ يتلوه نَصَب.

حَبْكُ تمثيل قولِه تعالى: ﴿يَخْرُصُونَ﴾ بخريص الماء:

الّـذيـن يتّبعـون الظّـنَّ يعيشون حياةً مضطربةً لا راحةَ فيها

هؤُلاء في حقيقة أمرهم مَثَلُهم كمثل الخريص، وهُو شِبهُ حوضٍ واسعٍ، ينبَثِقُ فيه الماءُ من نهرٍ، ثُمّ يعودُ إلى النّهر، والخريصُ مُمتلئٌ[3]، وهذا لعلّه أجودُ تمثيلٍ لحال أولئك الّذين يتّبعُون الظّنَّ ويخرُصون، فإنّ ما يقدّمُه أمثالُ هؤُلاء لأنفُسِهم أو للآخرين، لا يخرجُ عن أفكارٍ وتحليلاتٍ، تجولُ باضطرابٍ في عقل الخارصِ ونفسِه، مثل جُزيئات الماءِ الّتي تدورُ باضطرابٍ في هذا الحوض

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/28.
(2) أبو مريزيق، إرشاد الحيران: 4/178.
(3) ابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (خرص).

الصّغيرِ الّذي يستقبلُ ماءً طارئًا يُصُبُّ فيه من نهرٍ ما، ومثلُ هذا الحوضِ عادةً ما يدُورُ فيه الماءُ بدوّامات، ثُمّ ما يلبثُ أن يخرجَ إلى النّهر نفسِه، وفي ذلك تمثيلٌ مُناسبٌ ورشيقٌ، لحال أُولئك الّذين وصفَهم القرآنُ في قولِه تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾؛ إذْ تدخُلُ المعلُوماتُ في عُقُولهم، وتدُورُ في أذهانهم، وتتماوجُ في نفُوسهم، لكنّها تخرجُ كما دخلَت، فلا الماءُ تغيّرَ وصفُه، ولا النّهرُ قلَّ ماؤُه، ولا الحوضُ فادَ أو أفادَ، وهكذا الّذين يخرُصُون.

بلاغةُ الاستعارةِ في قولِه تعالى: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾:

خـارصُ الأوهـامِ يستهينُ بدينِه وعقيدتِه وفكرِه

معنى ﴿يَخْرُصُونَ﴾: يتّبعُون الظّنَّ الّذي تُرجِّحُهُ لَهُم أهواؤُهم، كما يخرصُ أهلُ الحرث ثمراتِ النّخيلِ والأعنابِ وغيرها، ويقدّرُون ما تأتي به منَ التّمر والزّبيب، فلا شيءَ منها مبنيٌّ على علمٍ صحيحٍ ثابتٍ، ولا هُو مَنوطٌ بدلائلَ تنتهي إلى اليقين[1]، فشبّههُم في خرصهم لعقائدهم وآدابهم، بمَن يخرصُ التّمورَ والزّبيبَ والثّمارَ؛ فأظهر فظاعةَ أمرِهم، واستهانَتَهُم بعقائدهم؛ فحقَّت عليهم كلمةُ الضّلال، وفي ذلك المعنى استعارةٌ مكنيّةٌ تشخيصيّةٌ.

صيغةُ تقابلِ المضارعِ في قولِه تعالى: ﴿تُطِعْ﴾ و﴿يُضِلُّوكَ﴾:

خـطـابٌ شاملُ التّقعيدِ والدّلالةِ للأجيالِ القادمةِ إلى يوم القيامة

جاء فعلُ الشّرط وجوابُه بصيغة المضارع ﴿تُطِعْ﴾ و﴿يُضِلُّوكَ﴾، وفيهما دلالةُ التّجدُّدِ واستجلاءُ المستقبل، والخطابُ شاملٌ لأمّة محمّد ﷺ، حتّى يرثَ اللّهُ الأرضَ ومَنْ عليها.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الخرْص والكذب:

الخرصُ هو الحزرُ، وليس منَ الكذب في شيء، والخرصُ ما يحزرُ منَ الشّيء؛ يُقال: كم خَرْص نَخْلِكَ؟ أي: كم يجيءُ من ثمرته،

(1) رضا، المنار: 8/15.

الخـرْصُ يجري على غير تحقيقٍ، فشُبّهَ بالكذبِ، واستُـعـمـلَ في موضِعِه

وإنّما استعملَ الخرصُ في موضع الكذبِ؛ لأنّ الخرصَ يجري على غير تحقيقٍ، فشُبّهَ بالكذب، واستُعملَ في موضعه، وحقيقةُ ذلك: أنَّ كلَّ قولٍ مقولٍ عن ظنٍّ وتخمين، يُقال له: خَرْصٌ، سواء كان مطابقًا للشّيء أو مخالفًا له، من حيث إنَّ صاحبَه لم يقلْه عن علمٍ ولا غلبةِ ظنٍّ ولا سماعٍ، بل اعتمدَ فيه على الظّنِّ والتَّخمين، كفعلِ الخارصِ في خَرْصه، وكلُّ مَن قال قولًا على هذا النَّحو قد يُسمَّى كاذبًا، وإن كان قولُه مطابقًا للمقُولِ المخبَرِ عنه[1]، وأمّا التّكذيبُ فالتّصميمُ على أنَّ الخبرَ كذبٌ بالقطع عليه، ونقيضُه التّصديقُ، ولا تُطلَقُ صفةُ المُكذِّب إلّا لمَن كذّبَ بالحقّ؛ لأنّها صفةُ ذمٍّ، ولكنْ إذا قُيّدَت؛ فَقِيلَ: مُكَذِّبٌ بالباطِلِ كان ذلك مستقيمًا، وإنّما صَار المُكذِّبُ صفةَ ذمٍّ، وإن قِيل كذّبَ بالباطل؛ لأنّه من أصلٍ فاسدٍ، وهو الكَذِبُ فَصَار الذّمُّ أغلبَ عليه، كما أنّ الكَافرَ صفةُ ذمٍّ، وإن قيل كفرَ بالطّاغوتِ؛ لأنّه من أصلٍ فاسدٍ وهو الكُفر[2].

ولذلك ناسبَ سياقُ الآية استعمالَ فعلِ الخَرْصِ الّذي اتّبعَ فيه المشركون آباءَهم وموروثَهم وأهواءَهم من غير علمٍ ولا غلبةِ ظنٍّ ولا سماعٍ صحيحٍ، بل اعتمدوا فيه على الظّنِّ والتَّخمين.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب المفردات: (خرص).
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 214.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي عشر، سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 11 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-63-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 11 : سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-63-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9795022 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»